

تاريخ القبول: 2020/10/29

تاريخ الاستلام: 2020/10/14

ملخص:

المصطلح أداة معرفية مهمة لضبط تشتت التصورات وتشابكها، ووسيلة لتنظيم المفاهيم المعرفية، ونشر كل جوانب الحضارة، والتطبيقات المختلفة التي تخدم الإنسانية كافة. وقد تنبّه العرب القدامى من أهل الدين والتصوف والفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع إلى هذه الأهمية، فسعوا لوضع أسس المصطلح. وطبعاً كان للعامل الأنثروبولوجي الديني وتداخله مع الحقول المعرفية المختلفة دوره في توجيه الاهتمام بالمصطلح، إلى جانب تأثير الحضارات الراقية في الفكر العربي.

ونظراً للجهود العلمية التي بذلها الأوائل في وضع الحجر الأساس لعلم المصطلح، فإنّ هذه الدراسة تكشف عن أصول الدرس المصطلحي، ومقدار تأثير البيئات المختلفة في نشأته، خاصة وأنه يشكل مرجعية لغوية ثقافية حضارية، تحفظ للأمة تراثها.

الكلمات المفتاحية: المصطلح، النشأة، تأثير الدين والحقول المعرفية، الفكر العربي القديم.

Abstract:

The term is an important cognitive tool for controlling the dispersion and intertwining of perceptions, and a means of organizing cognitive concepts, spreading all aspects of civilization, and the various theories that serve all humanity. The ancient Arabs of religion, mysticism, philosophy, history and sociology noted this importance, and sought to lay the foundations of the term. Of course, the religious anthropological factor and its intertwining with different fields of knowledge had a role in directing interest in the term, in addition to the influence of high-end civilizations on Arab thought.

In view of the scientific efforts made by the early adopters in laying the foundation stone for the science of the term, this study reveals the origins of the terminology lesson, and the extent of the influence of different environments

*المؤلف المرسل: ملیكة شادلي، الإيميل: chadlimalika13000@gmail.com

on its inception, especially as it constitutes a linguistic, cultural and civilized reference that preserves the nation's heritage.

Keywords: the term, the genesis, the influence of religion and the fields of knowledge, the ancient Arab thought.

لقد كان لفظ (مصطلح) معروفا ومتداولاً بين القدماء، بالرغم من عدم تقييده في المعاجم العربية القديمة، فقد استخدم إجرائياً ضمن العديد من الحقول المعرفية والمجالات المختلفة، من ذلك التصوف، والتاريخ، وصناعة الإنشاء، وعلوم الحديث، والقراءات، وصناعة الشعر، واللغة، والجدل، وقد كان رائجا خلال القرن الثامن الهجري على يد بعض الصوفية، والمؤرخين ككتاب دواوين الإنشاء، الذين سمّوا به بعض مؤلفاتهم، وذكروه في ثنايا كتبهم. أمّا لفظ (اصطلاح) فأقدم ظهوراً في تاريخ اللغة العربية من لفظ (مصطلح)، إذ وجد مستعملاً منذ القرن الثالث الهجري عند المبرد (المبرد، 1994م، ص144).

ويمكن التأريخ لانطلاقة المصطلحية العربية ببدء ظهور الأبحاث الإسلامية حول القرآن الكريم والحديث النبوي، والتي بدأت تأخذ مكانتها في ركب الحضارة، وتفرض نفسها أثناء تدوين العلوم، حيث "أصبح لدارس الإعجاز مصطلحه، وكذلك دارس التفسير، والسيرة، والتاريخ، وغير ذلك من العلوم الثقيلة التي شكّلت اللبنات الأساسية في بنية الثقافة العربية الإسلامية" (عباس عبد الحليم عباس، 1990م، ص87).

فلقد أدى الإسلام دوراً كبيراً في نقل الكثير من الألفاظ من مجال اللغة العام إلى المجال الخاص بدلالات خاصة مع وجود علاقة المشابهة، وقد أشار أبو حاتم الرازي (ت322هـ) إلى أنّ "أسماء كثيرة من الآذان والصلاة والركوع والسجود لم تعرفها العرب إلّا على غير هذه الأصول، لأنّ الأفعال التي كانت هذه الأسماء لها لم تكن فيهم، وإمّا سنّها النبي - ﷺ - فكانوا يعرفون الصلاة أنّها الدعاء..." (أبو حاتم الرازي، 1957م، ص146)، فالألفاظ قد اكتسبت مفاهيم جديدة بفعل ظهور الإسلام، وما نصّت عليه أحكامه الشرعية.

وينبّه ابن فارس (ت395هـ) إلى أنّ اللغة العربية انتقلت إلى استعمال جديد يساير المفاهيم الإسلامية، فيقول: "كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم، ونسائكهم، وقرايبهم، فلما جاء الله - جلّ ثناؤه - بالإسلام حالت أحوال، ونسخت

ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع آخر زيادات زيدت، وشرائع شرعت" (ابن فارس، 1993م، ص 36-37). فكان للعامل الديني دور بارز في نشأة المصطلح. واحتيج في ضبط قواعد القرآن الكريم إلى ضبط قواعد اللغة العربية، لأن القرآن الكريم يشكّل الصيغة الفنية والقالب البنيوي العام للعربية، وهو أحد أهم مصادر في التنمية اللغوية في رأي عبد الجليل مرتاض، إذ يقول: "وكان القرآن حافزا ومحفزا لا مثيل له، وجعل كلّ الطبقات من العلماء والمختصين يدرسون، ويتدارسون ثم يؤلفون، ويبدعون، ويدلّلون السبيل لتنمية لغوية شاملة لاحقة في كلّ الفنون والعلوم" (عبد الجليل مرتاض، 1993م، ص 158)، مما سمح بولادة عدد هائل من المصطلحات الجديدة في العربية.

فنشأت بذلك الدراسات اللغوية، وبدأت بداية متداخلة مختلطة، كلّ من ذوي الاختصاصات يدلو بدلو، ويبحث في الألفاظ ودلالاتها. وبلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة (المنظمة العربية، إدارة الثقافة، 1990م، ص 274). ووجدت فيه السند الهام الذي أبقي على روعتها، وخلودها، فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة على نقيض ما حدث للغات القديمة (أنور جندي، 1982م، ص 301).

ويزداد الاهتمام بالمسألة المصطلحية مع استيراد العرب للعلوم اليونانية، والهندية، والفارسية من منطق، وفلسفة، ورياضيات، وغيرها، وترجمتها، وقد أشار كمال اليازجي في كتابه معالم الفكر العربي إلى أنّ المنصور ثاني الخلفاء العباسيين كان شديد الرغبة في علوم النجوم، فنقل في عهده عن الهندية الكتاب المعروف بالسند هند في الفلك ورسائل أخرى في الحساب، حملت إلى العرب نظام الأرقام الهندية، ونقلت بعض المؤلفات عن اليونانية بطريقة السريانية، وترسم الرّشيد خطى المنصور في تنشيط العلوم، وإكرام العلماء، فنقل في عهده كتاب إقليدس أصول الفلسفة. وبلغت هذه الحركة أوجّها في خلافة المأمون إذ كان عالما بارزا شديد الرغبة في الفلسفة، عظيم التقدير لعلوم اليونان، فوقف جهوده العلمية على الترجمة، وعمل على توسيع نطاقها وتنظيمها. فبنى لهذا الغرض دارا خاصة سمّاها بيت الحكمة، جهّزها بمكتبة كبيرة، وأنشأ فيها حلقة للمناقشة ومعهدا للترجمة، وقد استقدم إلى بيت الحكمة أربع المترجمين (كمال اليازجي، 1954م، ص 64 - 65) و(شوقي ضيف، دت، ص 111 - 112). فهذه الحركة العلمية والفلسفية التي ظهرت في الحواضر العربية، وازدهرت بفضل تشجيع الخلفاء كان لها أثرها البالغ في تشكّل المصطلحات.

هكذا استطاع العرب في فترة زمنية قصيرة أن يستوعبوا تراثاً فكرياً متنوعاً، ومستمدّاً من حضارات راقية كالفرس واليونان، وأنشأوا من خلاصته نهضة علمية، تجلّت في ميادين علمية مختلفة، ومذاهب فلسفية متباينة. و"باتّساع هذه الحركة العلمية ازدادت المعارف، وغما الرّوح العلمي، واتّسق أسلوب التفكير، وأخذت مجاري الفكر تتنوّع وتفتّح، وأصناف العلوم تتفرّع، وتستقلّ، فأولى العلماء عناية خاصة بالدّرس المصطلحي.

ولئن كانت هذه العلوم قد تخطّت الآن المدى الذي أوصلها إليه علماء العرب، فإنّ فضلهم فيما أدّوه في سبيل تقدّمها ورقّيها لم يطمسه التاريخ، ذلك أنّ فضل الأمة في التّقدم ينبغي أن يقاس بما أضافته إلى ما سبق. فقام علماؤنا الأوائل بالكشف عن الكنوز الدّفينة في اللّغة، مستعينين بوسائل شتى مثل الوضع، والقياس، والاشتقاق، والتّحت، والترجمة، والتّعريف، وغيرها بهدف إبداع حدود العلوم، ومصطلحاتها، ورسومها، وتعريفاتها، حتى يسدّوا العجز المصطلحي الذي عنوا منه في تلك الفترة، لأنّه كما يقول ابن تيمية (ت728هـ) "إذا اتّسعت العقول وتصوراتها اتّسعت عباراتها" (ابن تيمية، 1976م، ص166)، وازدادت الحاجة إلى وضع مصطلحات تستوعب تلك المفاهيم.

ويحدّد عمر فروخ أنواع المصطلحات التي ظهرت في العصر العباسي للتعبير عن المفاهيم الجديدة بما جدّ فيها من مظاهر الحضارة المادية، ومن أوجه الثّقافة الأجنبيّة خاصة، وبما حدث فيها من جوانب الحياة الاجتماعيّة، اقتضت ألفاظاً جديدة للتعبير عن تلك المظاهر، والأوجه، والجوانب، وقد تجلّت العبقرية اللّغويّة في العرب عن ثلاثة أنواع من الألفاظ (عمر فروخ، 1982م، ص40 - 41). الألفاظ المولّدة: وهي صيغ مشتقة من جذور عربيّة نحو (تلاشى) أي: اضمحل، و(الإيقاع) أي: الضّرب على الدّف، ونحوه على نظام معيّن، وكذلك لفظة (أدب) الدّالة على الإنتاج الرّاقى من الشّعور والنّثر. وربّما كان التّوليد في استعمال صيغة عربيّة قديمة لتأدية معنى جديد نحو (استعرض)، فإنّ معناها الجاهلي (قتل بالسيف)، فاستعملت في العصر العبّاسي بمعنى تصفّح الأوجه المختلفة في شيء ما. ثمّ حدّث في البيئة العباسية معان لم يجد العرب لها في لغتهم ألفاظاً تؤدّيها، فعربّوا ألفاظها الأجنبيّة أي: أجروا اللفظ الأجنبي في صيغة عربيّة قدر الإمكان نحو (انتره) الفارسيّة فإنّها هندسة و(كليما) اليونانيّة، فإنّها أصبحت (إقليم)، فهاتان وأمثالها هي الألفاظ المعرّبة. وبقي عدد من الكلمات لم يمكن تعريبها أيضاً، فظلّت مدّة على لفظها الأجنبي نحو

(أبازميا)، ثم أوجدت لها ألفاظ عربية هي (الوباء). ثم بقي ألفاظ لم يجد العرب حاجة إلى تعريبها نحو قانون، جغرافية ... وهذه كلها تسمى الألفاظ الدخيلة لأن العجمة ظلت ظاهرة عليها. إن العهد العباسي كان أزهى عصور الحضارة العربية، إذ جرى احتكاك العقل العربي بمدنيات البلاد التي امتد إليها سلطانه، ونقل تراثهم، وبدأ العربي - في وعي التفتح الجديد - يتطلع إلى العلوم تطلع المتشوق إلى المعرفة، الظمان إلى اكتناه حقائقها" (حنا الفاخوري، دت، ص 522 - 523)، بحثا عن الرقي في جميع المجالات.

ولا عجب في أن تزدهر الحضارة، وتزدهر معها الحركة الأدبية والعلمية، وتتطور الدراسة المصطلحية، إذ لقيت من جهة قلوبا متعطشة إلى الرقي، ومن جهة أخرى تدققا ثقافيا جارفا، تحمله إلى مختلف أنحاء البلاد أقنية سخية من مدارس كبيرة.

وربما يعود الأمر في المصطلح المتخصص إلى سيبويه (ت 180هـ) الذي يعد كتابه أول ما دُون في علم النحو (سيبويه، 1966م، ج 1، ص 49)، تضمن مصطلحات نحوية. وفي علم العروض، وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) لأوزان الشعر وقصار الأراجيز ألقابا، لم تكن تعرف عند العرب، وصنف أول معجم، سماه العين، والذي اشتمل على مصطلحات بلاغية ونحوية (الفراهيدي، 2003م، ج 1، ص 85). وقد كان اهتمامه بالأعمال المعجمية دليلا على التفاته للمصطلح. فهو نشاط مارسه العرب عبر الزمن، واتخذت منه حقا معرفيا.

وقد تنبه اللغويون والنقاد الأوائل إلى المصطلح، فشرعوا في وضعه، والاهتمام به، وقد أشار الجاحظ (ت 255هـ) إلى أن أول من اهتم به المتكلمون، " فهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطالحوا على تسمية ما لم يكن في لغة العرب اسم... " (الجاحظ، 1985م، ج 1، ص 139).، فالعرب في رأي الجاحظ ارتحلوا ألفاظا معينة، ليدل كل لفظ منها على معنى محدد، وليؤدي مفهوما واضحا، ولم تكن عملية الاصطلاح هذه مقصورة على شخص بعينه، بل كانت اتفاقا بين اثنين فأكثر، وكلما جد لهم معنى أوجدوا له اسما أو اشتقوه من لفظ معروف لمشابهة معينة حتى غدا لكل علم مصطلحاته الخاصة به. وهذه إشارة مبدئية إلى طرق وضع المصطلح.

وأشار ابن قتيبة (ت 276هـ) إلى أن مصطلحات أهل الأدب تختلف عن المصطلحات العلمية، فيقول: " فإذا طالعها لم يحل منها بطائل... فإذا أراد المتكلم أن يستعمل بعض تلك الوجوه في

كلامه كانت وبالا على لفظه" (ابن قتيبة، 1963م، ص3-4)، فاشتغال الأديب بالمصطلحات العلمية لا يفيد في الأدب، بل يضعف ذوقه الأدبي.

وكذلك المبرد (ت285هـ) يسعى للتأسيس لعلم النحو، ويستخدم لفظ (اصطلاح) بمعنى الاتفاق والمواضعة على المصطلحات النحوية في قوله: "ألا ترى أنك إذا قلت: ضربت، وضربني زيد، فأخبرت عن نفسك تقول: الضارب زيداً. فتعدى (ضربت) في الإخبار، ولم يكن متعدياً في الفعل، فهذا الذي ذكرت لك من أن النحويين جروا فيه على الاصطلاح" (المبرد، ص114). لكن هذا المؤلف يكاد يخلو من الحديث عن الآليات والمنهجيات التي اتبعتها هؤلاء العلماء في اختيار مصطلحاتهم ووضعها.

وحاول ابن معتر (ت296هـ) تدوين علم البديع، ووضع اصطلاحات لوجوه حسن الكلام، وأدرك أن المصطلح مواضعة جماعية يتم تداولها حتى يعرف على مستوى المنظومة اللغوية في "فنّ بعينه ليكون واضح الدلالة مؤدياً المعنى الذي يريده الواضعون" (ابن المعتر، 1945م، ص16). وممن ساعدت الأنثروبولوجية الدينية في إبراز جهودهم أبو حاتم الرازي (ت322هـ) الذي عني بشرح الألفاظ الشرعية، وتسميتها على أساس أنها مصطلحات هذا العلم في كتابه الزينة في الكلمات الإسلامية العربية.

أمّا قدامة بن جعفر (ت335هـ) فقد عدّ نفسه أول من وضع في المصطلح التقدي والأدبي، مشيراً إلى الوسائل التي تساعد على نشوء المصطلحات، وطرق وضعها عندما تظهر معان جديدة لم يسبق إليها عن طريق الاختراع، يقول: "فإني لما كنت آخذاً من معنى لم يسبق إليه من يضع لمعانيه، وفنونه المستنبطة أسماء تدلّ عليه، احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها" (قدامة بن جعفر، دت، ص68). وفي كتابه نقد النثر يوضح طرق وضع المصطلح إمّا بالتوليد، أو التعريب، أو الاختراع، أو الاشتقاق (قدامة بن جعفر، 1980م، ص73-74).، ويشترط في هذا الباب أن يشترك العرب في المصطلح، وليس ممّا ينفردون به.

وقد تبه ابن وهب الكاتب (ت335هـ) على وسائل أخرى في وضع المصطلح كالاشتقاق والتعريب، فيقول: "وأما الاختراع فهو ما اخترعت له العرب اسماً ممّا لم تكن تعرفه... ومنه ما عرّيته، وكان أصل اسمه أعجمياً" (ابن وهب الكاتب، 1967م، ص158). فهذه الطرق في وضع المصطلحات كانت سبباً في اتساع اللغة.

وبيّن الفيلسوف المسلم أبو نصر محمد الفارابي (ت339هـ) في كتابه الحروف عملية الاصطلاح، والطرق التي يلتجأ إليها عند ظهور المعاني والمفاهيم الجديدة، فيقول في باب اختراع الأسماء ونقلها: "فإذا احتاج واضع الملة إلى أن يجعل لها أسماء، فإما يخترع لها أسماء لم تكن تعرف عندهم قبله، وإما أن ينقل إليها أسماء أقرب" (الفارابي، 1990م، ص154). فاهتمام هذا العالم بتوسيع دائرة المصطلحات، والبحث في طرق وضعها جليّ وواضح، يكشف عن وجود حركة علمية. وفي القرن نفسه، يضع الخوارزمي (ت387هـ) مصنفه الشهير مفاتيح العلوم بعد أن أدرك حاجة الناس إلى معرفة اصطلاحات العلوم والآداب التي خلت منها أو من جلّها الكتب. ويسمّي المصطلحات أسامي وألقاباً وألفاظاً، يقول: "أسامي وألقاباً اخترعت، وألفاظاً من كلام العجم أعربت" (الخوارزمي، 1930م، ص13). وقد وجد الباحثون في مصطلحات الخوارزمي ضالتهم لفهم العلوم وتحصيلها. والجدير بالذكر أنّ معالجة هذا العالم الجليل لمختلف المصطلحات في كتابه تعدّ الخطوات الأولى لتقنين المصطلح العلمي.

ثمّ نجد النحوي ابن جني (ت392هـ) يساهم بدوره في تأسيس المصطلح النحوي، وتبيان آلياته، ويرى أنّ أصل اللغة إنّما هو تواضع واصطلاح (ابن جني، 1371هـ، ص40). وألّف انتباهه إلى أنّ الصراع الذي نشأ حول اللغة فيما إذا كانت إلهاماً ووحياً أو بالاصطلاح قد ساهم بدوره في نشأة الدراسة المصطلحية عند العرب القدامى.

ويشير أحمد بن فارس (ت395هـ) إلى كيفية نشوء المصطلح بالنقل المجازي كما في ألفاظ الصلاة، والزكوع، وغيرها، فقد "نقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع آخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول" (ابن فارس، 1993م، ص44)، وجعل لكلّ لفظ اسمين: لغوي واصطلاحي.

ومن علماء القرن الخامس الهجري، نجد ابن سينا (ت428هـ) في كتابه الإشارات والتنبيهات يشير إلى المنهج السليم في وضع المصطلحات، فيقول: "فإن ذهبوا إلى اصطلاح طارئ عليه، ودّعوه، فلهم ذلك، ولكن عليهم أن يبيّنوا المفهوم الذي اصطلحوا عليه، والسبب الموجب للنقل... فإنّ طريقهم في هذه الصناعة هي التزام مصطلحات القدماء" (ابن سينا، 1971م، ج1، ص36)، فهو ينبّه إلى ضرورة الانتقال من العرف اللغوي إلى الاصطلاحي بشكل صحيح، وبوجود مشاهدة، أو مناسبة مع الاعتداد بما سبق إليه الأولون.

ولابن سينا رسالة بالغة الأهمية في الحدود، تكشف عن نظرية متكاملة في اصطلاحات الفلاسفة تقوم أساساً على "أنّ الحدود الحقيقية يجب - بحسب صناعة المنطق - أن تكون دالة على ماهية الشيء" (عبد الأمير الأعسم، 2009م، ص231)، وتدخل هذه الرسالة ضمن جهوده المنطقية في تطوير المصطلح الفلسفي.

وكان لابن حزم (ت456هـ) - أحد المتخصصين بأصول الفقه - جانب من الاهتمام بالمصطلحات ودراستها، إمّا من جهة الألفاظ التي درجوا عليها، بحيث وصفوا، وسمّوا مصطلحات علمهم، أو من جهة وصفهم وبيانهم للألفاظ الشرعية ودلالاتها (ابن حزم الأندلسي، 1980م، ج4، ص29)، وهو فيما ذهب إليه يعتمد اللغة الأنثروبولوجية الدينية.

ولأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت531هـ) - وهو أحد الأدباء المتميزين في القرن الخامس الهجري - حظّ في المصطلحات التي جمعها في كتابه السّامي في الأسامي (الميداني، 1967م، فهرس الكتاب).

ونجد آثار لفظ (مصطلح) في أواسط القرن السادس الهجري مع الفقيه الأصولي محمد بن محمد البروي (ت567هـ) من خلال كتابه المقترح في المصطلح، يقول في مقدمته: "فقد سألت بعض الأئمة أن أصنّف لهم بعض ما تقرّر عليه الاصطلاح في مناظرات الفقه بنيسابور... فقلت حينئذ: القول في جميع أبواب الجدل طويل... وغرضك الوقوف على مصطلح أهل نيسابور" (البروي، 2004م، ص4)، أي: على ألفاظها. فالبروي يستخدم لفظ (الاصطلاح) بمعنى الاتفاق على تسمية المسائل الفقهية عن طريق مصطلحات خاصة، وقد ساهم بشكل كبير في بناء المصطلح الفقهي.

وفي مجال البلاغة، كان للسّكاكي (ت626هـ) فضل في استقرار المصطلحات (السّكاكي، 1987م، ص161)، إذ صاغها صياغة مضبوطة محكمة بقدرته المنطقية في التعليل، والتجريد، والتعريف، والتقسيم، والتفريع، والتشيعب.

وإذا ما عدنا إلى النّظر فيما يبذله الفلاسفة اللّغويون من جهود للتأسيس للمصطلح الفلسفي، نجد سيف الدّين أبا الحسن علي الآمدي (ت631هـ) يبيدي رغبة واضحة في تيسير قراءة الفلسفة وفق مصطلحات ثابتة ومؤكّدة في حدودها، مستمّدة من ينابيعها، وهي أعمال أرسطو طاليس والفارابي وابن سينا، بل قصد إلى تنظيم اللّغة الفلسفية، وإثبات مكوناتها اللّفظية بمقاييس اصطلاحية

تتأسس عليها. وهو يرى "أنّ من علامات التّضحج في الحياة التّقافيّة العامة لشعب من الشّعوب أن تتحدّد المفاهيم، وتتّضح المدلولات للكلمات المتداولة، وإلاّ كان ذلك أمانة ضعف وخلل، قد يفضي إلى التّشويش على العقول، والفوضى الفكرية بل الاجتماعيّة" (الأمدي، دت، ص7). بمعنى أنّ تحديد المصطلحات وضبطها يوضّح ما التبس من المفاهيم، ويعين على الرّقي الفكري.

وتعريفات الأمدي للمصطلحات الفلسفيّة قد تضخّمت حتّى تجاوزت ضعف مصطلحات الكندي في رسالته الحدود والرّسوم، أو الخوارزمي، أو ثلاثة أمثال مصطلحات ابن سينا.

وتوالى البحوث والدراسات المختلفة لهذا الجانب اللّغوي للألفاظ، فنجد من العلماء الذين تخصّصوا في مجال وضع المصطلحات والتّأسيس لعلم المصطلح عبد الرّزاق الكاشاني (ت730هـ) أحد شيوخ الصّوفية ومن كبار اللّغويين، حيث صنّف ثلاثة معاجم مختصّة في المصطلحات الصّوفية، أولها: اصطلاحات الصّوفية، وثانيها: رشح الرّلال في الألفاظ المتداولة بين أرباب الدّوق والأحوال، والذي كان الغرض منه تزويد الدّارسين بمجموعة إضافية من المصطلحات، وثالثها: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام المخصّص لشرح ما استعصى فهمه من مصطلحات الصّوفية.

يرى علي القاسمي أنّ معاجم الكاشاني الثلاثة لا تدلّنا على سعة معرفته في التّصوّف وحسب، وإنّما كذلك على إسهامه الكبير في تطوير المعجميّة والمصطلحيّة من جهة، وبعده نظره في علم المصطلح وصناعته (علي القاسمي، مجلد 77، ج4، ص736) عندما رتب مصطلحاته التّرتيب نفسه المستعمل حتّى اليوم في المصطلحية الحديثة.

وفي القرن نفسه، يواصل جلال الدّين القزويني (ت739هـ) التّأسيس للمصطلح البلاغي في كتابه التّليخيص في علوم البلاغة، الذي استبعد منه تعقيد السّكاكي وحشوه وتطويله، كما وضّح غامضه بالشرح والأمثلة، واستبدل ببعض مصطلحاته وتعريفاته مصطلحات وتعريفات أخرى أكثر وضوحاً ودقّة (جلال الدّين القزويني، 1904م، ص24، و37، و235، و347). وفي ذلك عناية بالدراسة المصطلحيّة.

ونجد المؤرّخ والأديب ابن فضل الله العمري (ت749هـ) الذي امتلك ناصية التّعبير يخصّص كتابه التّعريف بالمصطلح الشّريف (العمري، 1988م. فهرس الكتاب) لذكر الألفاظ

الاصطلاحية المستعملة في الكتابة الديوانية في عصره، والأساليب المتعارف عليها في هذا الفن، والقوانين التي تراعى في المكاتبات الصادرة عن ديوان الإنشاء.

ووظف لفظ (مصطلح) في مجال معرني آخر عرف بعلم مصطلح الحديث، وهو علم يتناول فيه أصحابه مجموعة القواعد والمسائل التي يعرف بها حال الراوي من حيث القبول والرد، وأقسام الحديث الصحيح، والضعيف، وطرق التحمل، والأداء، والجرح، والتعديل، ومن أشهر المؤلفات في هذا العلم محاسن الاصطلاح وتضمن كتاب ابن صلاح لسراج الدين البلقيني (ت805هـ)، والألفية في مصطلح الحديث لزين الدين بن عبد الرحيم العراقي (ت806هـ)، ونخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر العسقلاني (ت852هـ).

وكان للعلامة ابن خلدون (ت808هـ) مؤسس علم الاجتماع، والمتخصص في علم الحضارة عناية بالمصطلح، إذ أشار إلى أن القضايا المستجدة تحتاج إلى اصطلاحات خاصة، يقول: "ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم، واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم، إذ الأوضاع اللغوية إنما هي للمعاني المتعارفة، فإذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف عليه اصطلاحنا عن التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه" (ابن خلدون، 2004م، ص211). فهو يشير إلى أمرين، أولهما: وجود نوعين من المصطلحات: المتعارف عليها، والمختصرة عن طريق الاصطلاح عندما تظهر معان جديدة، وثانيهما: ضرورة صياغة المصطلح بشكل مفهوم. وقد نبّه في مقدمته إلى قضية فساد اللغة من الناحية التحوية بسبب الاختلاط بالأعاجم، وفساد المعاني المختلفة، حيث يتم قلب المفاهيم المتعلقة بالألفاظ في عصره، فيؤثر ذلك سلباً على اللغة التي تعتبر أساس الفكر.

ثم نجد المتكلم والمتصوف الشريف الجرجاني (ت816هـ) يوضح منهجيته في جمع تعريفاته واصطلاحاته من كتب القوم، القائمة على أسس العملية المصطلحية من ذكر للمصطلح، وتعريفه لغوياً، ثم ما اصطلاح عليه أهل الاختصاص ودلالته، كلفظة (الإجماع) لغة هي الحزم، وفي الاصطلاح: هي اتفاق المجتهدين في عصر على أمر ديني (الجرجاني، 1998م، ص8).

ويضمّن الجرجاني كتابه جملة مختارة من المصطلحات في شتى العلوم كالفلسفة، والمنطق، واللغة، والبلاغة، والفقه وأصوله، والتصوف، وقد توخى التعريف الدقيق الموجز لها. ويلاحظ أنه يمتاز على كتاب مفتاح العلوم للخوارزمي بالترتيب الهجائي، وهذا تطور في الدراسة المصطلحية. والكتاب لا غنى عنه لكل باحث دأبه التحري عن المصطلح النافذ في علوم العربية.

ومن العلماء المسلمين الذين أدركوا أهمية المصطلح في تحصيل العلوم أبو العباس القلقشندي (ت821هـ) في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، إذ يذكر فيه الألفاظ الاصطلاحية التي استعملها العرب في صناعة الإنشاء، ومعرفة المصطلح عنده هي اللازم المحتم والمهم المقدم لعموم الحاجة إليه (القلقشندي، 1922م، ص6). وقد اعتمد اعتمادا كبيرا على كتاب ابن فضل الله العمري، ونوّه بمحاسنه، واقتدى به.

ويوضح السيوطي (ت911هـ) السبب في وضع الألفاظ هو أنّ الإنسان وحده لا يستقلّ بجميع حاجاته بل لابدّ من التعاون، ولا تعاون إلّا بالتعارف، ولا تعارف إلّا بالأسباب كحركات وإشارات، وألفاظ توضع بإزاء المقاصد، وأيسرها، وأعمّها وأفيدها الألفاظ (السيوطي، ج1، ص38). وللسيوطي باب في التّحت (السيوطي، ص4)، وغيره ممّا يثبت أصل اللّغة وطرق وضعها.

ومنّ بذلوا جهدهم في تسجيل قسم من الاصطلاحات اللّغويّة شهاب الدّين أحمد الخفاجي المصري (ت1069هـ) في كتابه شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل، وقد سبقه إلى هذا النوع من أنواع اللّغة أحمد الجواليقي البغدادي (ت465هـ) في كتابه المعرّب، إلّا أنّ تباعد عصورهما جعل كتاب الخفاجي يطفئ بعض الغلّة في العطاشى إلى المصطلحات وخاصة المولّدة منها.

ومن أمثلة ما ورد في كتاب الخفاجي مصطلح (نموذج) قال في القاموس: إنّّه لحن، والصّواب (نموذج)، وهو مثال الشّيء المعرّب (نموده)، وأصل معناه صورة تتخذ على مثال صورة الشّيء ليعرف منه حاله، ولم تعرّبه العرب قديما، ولكن عرّبه المحدثون (الخفاجي، 2008م، ص18). ومصطلح (أدب) هو ما يحسن من الأخلاق، وفعل المكارم، واصطلاح النّاس بعد الإسلام بمدة طويلة على تسمية العالم بالشّعّر أدبيا، وعلوم العربيّة أدبا (الخفاجي، ص27).

وفي القرن الحادي عشر الهجري، ظهر كتاب الكلّيات لأبي البقاء الكفوي (ت1094هـ)، أفاد منه كلّ من عُني من المتأخّرين بدراسة الفلسفة بعامة والفلسفة الإسلاميّة بشكل خاص، وبمعرفة مصطلحات أصحاب كلّ من الفلسفتين.

ثمّ يضع علي التّهانوي (ت1158هـ) كتابه كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (محمد علي التّهانوي، 1996م، ج1، ص4)، ويقتني فيه ذخائر العلوم الحكميّة والفلسفيّة، ويجمع

أهمّ المصطلحات المتداولة في عصره مع تبويبها، وترتيبها، وتصنيفها، وتوضيح منهجية بناء المصطلح.

خاتمة:

كان للعامل الديني وعلاقته بالحقول المعرفية دور كبير في وضع أصول المصطلح، إذ تضافرت جهود الأوائل من أهل الدين، والتصوف، والفلسفة، والأدب، وعلم الاجتماع، والتاريخ للكشف عن اصطلاحات العلوم والفنون، وشرحها، وتحديد مدلولاتها، وبيان مفاهيمها، وتتبع الألفاظ، وأصلها، وطرح العديد من القضايا التي تمس الظاهرة الاصطلاحية، وربما كانوا في العناية الخاصة بذلك أسبق من غيرهم من الأمم، فوضعوا حجر الأساس لعلم المصطلحات كضرب من البحث والتأليف. وليست دراسة بمفهوم علم المصطلح الذي هو عليه اليوم من اجتماع جملة من النظريات والعلوم حوله في دراسة اللفظ الواحد.

وعليه، فإنّ الدراسات العربية القديمة التي تمس الظاهرة الاصطلاحية، قد تناولت الاصطلاح باعتباره ظاهرة فكرية، لا باعتباره علماً مستقلاً. إضافة إلى أنّ المفكرين العرب القدامى لم يكونوا يفصلون الظاهرة المصطلحية عن باقي العلوم، حيث تداخلت القضايا المتعلقة بالمصطلح بالكتابات اللغوية، والمنطقية، والفقهية، والأصولية وغيرها.

ومهما اختلفت الآراء، فإنّ القدماء نجحوا في إثراء اللغة بمصطلحات متنوعة تشمل مختلف الميادين، لكن المصطلحية - باعتبارها علماً قائماً على أسس نظرية مقننة - قد بزغ نجمها في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

وتبقى مسألة الاستفادة من تراث الأوائل فيما يخصّ الدراسة المصطلحية ضرورة ملحة حتى نستمد المعاصرة من أصالتنا، فنمتلك هويتنا، ونظهر بشخصيتنا.

Conclusion:

The religious factor and its relationship to the cognitive fields had a great role in setting the origins of the term, as the efforts of the early people of religion, mysticism, philosophy, literature, sociology, and history combined to uncover the terms of science and the arts, explain them, define their connotations, clarify their concepts, trace the expressions, and their origin, And he raised many issues that affect the terminological phenomenon, and perhaps they were in special care of that earlier than other nations, so they laid the foundation stone for the science of terminology as a form of research and authorship. It is not a study in the concept of the science of the term that it is today from the gathering of a number of theories and sciences around it in the study of the same word.

Accordingly, the ancient Arab studies that touch on the terminological phenomenon have dealt with the term as an intellectual phenomenon, not as an independent science. In addition to that, the ancient Arab thinkers did not separate the terminological phenomenon from the rest of the sciences, as issues related to the term intertwined with linguistic, logical, jurisprudential, fundamentalist and other writings.

Regardless of the different opinions, the ancients succeeded in enriching the language with a variety of terms that include various fields, but the terminology - as a science based on convincing theoretical foundations - its star rose in the late nineteenth century AD.

The issue of benefiting from the legacy of the early adopters in terms of terminological study remains an urgent necessity in order to derive contemporary from our originality, so that we possess our identity, and emerge with our personality

المصادر والمراجع:

- 1- ابن تيمية، الرد على المنطقيين، دار ترجمان السنة، باكستان، 1976م.
- 2- ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، مصر، 1371هـ.
- 3- ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، تقديم: إحسان عباس، منشورات دار الأفق الجديدة، بيروت، 1400هـ-1980م.
- 4- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 1425هـ-2004م.

- 5- ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، شرح: نصير الدين الطوسي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط2، 1971م.
- 6- ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة ومساائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق طباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1414هـ - 1993م.
- 7- ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، 1967م.
- 8- أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.
- 9- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، السامي في الأسامي، بناد فرهنك إيران، ط1، 1345هـ - 1967م.
- 10- أبو نصر الفارابي، الحروف، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 1990م.
- 11- أحمد بن فارس، الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها تحقيق: عمر فاروق طباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1414هـ - 1993م.
- 12- الأمدى، أبو الحسن علي، المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين، تحقيق: حسن محمود الشافعي، مكتبة وهبية، القاهرة، دط، دت.
- 13- التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، 1996م.
- 14- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الباي الحلبي، 1985م.
- 15- جندي أنور، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1402هـ - 1982م.
- 16- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجليل، بيروت، لبنان.
- 17- الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تحقيق: محمد كمال الدين الأدهمي، مصر، 1349هـ - 1930م.
- 18- الخفاجي، شهاب الدين، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، المطبعة الوهبية، 1429هـ - 2008م.
- 19- الرازي أبو الحاتم، الزينة في الكلمات العربية، تعليق: حسين بن فيض الله الحمداني البعري، القاهرة، 1957م.
- 20- السكاكي، أبو يعقوب يوسف، مفتاح العلوم، ضبط: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ - 1987م.
- 21- سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر، 1966م.
- 22- السيوطي، جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتصحيح وتعليق: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد التجاري، مكتبة التراث، القاهرة، ط3، دت.
- 23- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط8، دت.

- 24-عباس عبد الحليم عباس، إلى علم إشارات المصطلح وتطوّره، مجلة الثقافة العربية، العدد3، 1399هـ - 1990م.
- 25-عبد الأمير الأعسم، التفكير الفلسفي عند العرب، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 2009م.
- 26-عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق وضبط: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط4، 1963م.
- 27-عبد الله ابن المعتز، البديع، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1945م.
- 28-عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الأعصر العباسية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.
- 29-عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1985م.
- 30-العمرى، القاضي ابن فضل الله، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ - 1988م.
- 31-الفراهيدي، الخليل بن أحمد ، معجم العين، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ - 2003م.
- 32-القاسمي علي ، عبد الرزاق الكاشاني وإسهامه في تطوير المعجمية العربية، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق.
- 33-قدامة بن جعفر، نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1400هـ - 1980م.
- 34-القزويني، جلال الدين التلخيص في علوم البلاغة، ضبط وشرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1904م.
- 35-القلقشندي أبو العباس ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، 1922م.
- 36-الكاشاني عبد الرزاق ، اصطلاحات الصوفية، تحقيق: عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، 1413هـ - 1992م.
- 37-المبرد، أبو العباس، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1415هـ - 1994م.
- 38-محمد بن محمد البروي، المقترح في المصطلح، تحقيق: شريفة بنت علي بن سليمان الحوشاني، دار الوراق، ط1، 1424هـ - 2004م.
- 39-مرتاض، عبد الجليل، العربية بين الطبع و التطبيع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.
- 40-المنظمة العربية، إدارة الثقافة، من قضايا اللغة العربية المعاصرة، 1990م.
- 41-اليازجي، كمال، معالم الفكر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1954م.